

نزار قباني
أشهد
أن لا
امرأة
إلا أنت

الطبعة السادسة

حزيران يونيو (١٩٨٣)

الإفتتاحية

إلى امرأة لا تعادُ . .

تُسمى . . (مدينة حزني)

إلى مَنْ تسافرُ مثل السفينة في ماء عيني

وتدخلُ – وقتَ الكتابةِ –

ما بين صوتي ، وبيني . .

أقدّمُ موتي إليكِ . . على شكلِ شعرٍ . .

فكيفَ تظنينَ أني أغنّي ؟ . . .

المحاكمة

يعانقُ الشرقُ أشعاري . . ويلعنها . .

فألفُ شكرٍ لمن أطرى . . ومن لعنا

فكلّ مذبوحةٍ . . دافعتُ عن دمها

وكلّ خائفةٍ أهديتها وطنا . .

وكلّ نهدٍ . . أن أيّدت ثورتهُ

وما ترددتُ في أن أدفعَ الثمنا

أنا مع الحبّ ، حتى حين يقتلني

إذا تخليتُ عن عشقي . . فلستُ أنا . . .

أشهد أن لا امرأة إلا أنت . .

١

أشهد أن لا امرأةً . .
أتقنت اللعبة إلا أنتِ . .
واحتملت حماقتي . .
عشرة أعوامٍ كما احتملتِ . .
واصطبرتْ على جنوني مثلما صبرتِ . .
وقلمتْ أظافري . .
ورتبتْ دفاتري . .
وأدخلتني روضةَ الأطفالِ . .
إلا أنتِ . .

٢

أشهد أن لا امرأةً
تشبهني كصورةٍ زيتية
في الفكر والسلوك، إلا أنتِ . .
والعقلِ والجنونِ . . إلا أنتِ . .
والمللِ السريعِ . .

والتعلق السريعِ . .

إلا أنتِ

أشهد أن لا امرأةً . .

قد أخذت من اهتمامي . .

نصف ما أخذتِ . .

واستعمرتني مثلما فعلتِ . .

وحررتني مثلما فعلتِ . .

٣

أشهد أن لا امرأةً

تعاملتْ معي كطفلٍ عمرهُ شهرانِ . .

إلا أنتِ . .

وقدمت لي لبنَ العصفورِ ،

والأزهارَ ، والألعابَ ،

إلا أنتِ . .

أشهد أن لا امرأةً . .

كانت معي كريمة كالبحرْ . .

راقيةً كالشعر . .

ودللتني مثلما فعلتِ . .

وأفسدتني مثلما فعلتِ . .

أشهد أن لا امرأةً . .

قد جعلتْ طفولتي . .

تمتد للخمسينَ . . إلا أنتِ . .

٤

أشهد أن لا امرأةً . .

تقدرُ أن تقولَ إنها النساءُ . . إلا أنتِ . .

وإن في سرتها . .

مركز هذا الكونْ

أشهد أن لا امرأةً . .

تتبعها الأشجارُ عندما تسيرُ . .

إلا أنتِ . .

ويشربُ الحمامُ من مياهِ جسمها الثلجي . .

إلا أنتِ . .

وتأكلُ الخرافُ منْ حشيش إبطها الصيفي . .

إلا أنتِ

أشهد أن لا امرأةً . .

إختصرتْ بكلمتينِ قصة الأنوثهْ .

وحرضت رجولتي عليّ . .

إلا أنتِ . .

٥

أشهد أن لا امرأةً

توقف الزمانُ عند نهدها الأيمنِ .

إلا أنتِ . .

وقامت الثوراتُ من سفوح نهدها الأيسرِ . .

إلا أنتِ . .

أشهد أن لا امرأةً

قد غيرت شرائع العالم إلا أنتِ . .

وغيرتْ . .

خريطةَ الحلالِ والحرامِ . .

إلا أنتِ . .

٦

أشهدُ أن لا امرأةً ..

تجتاحني، في لحظاتِ العشقِ، كالزلزالْ

تُحرقني .. تُغرقني ..

تُشعلني .. تُطفئني ..

تكسرني نصفينِ كالهلالْ ..

أشهد أن لا امرأةً ..

تحتلُ نفسي أطول احتلالْ ..

وأجملَ احتلالْ

تزرعني ..

ورداً دمشقياً ..

ونعناعاً ..

وبرتقالْ ..

يا امرأة ..

أتركُ تحتَ شعرها أسئلتي ..

ولم تجبْ يوماً على سؤالْ ..

يا امرأةً هي اللغاتُ كلها . .

لكنها

تلمسُ بالذهنِ . . ولا تقالْ . .

٧

أيتها البحريةُ العينينِ . .

والشمعيةُ اليدينِ

والرائعةُ الحضورْ . .

أيتها البيضاءُ كالفضةِ . .

والملساءُ كالبللورْ . .

أشهد أن لا امرأةً

على محيط خصرها . . تجتمع العصور

وألف ألف كوكبٍ يدورْ

أشهد أن لا امرأةً . . غيركِ يا حبيبتي

على ذراعيها تربى أولُ الذكورْ . .

وآخرُ الذكورْ . .

٨

أيتها اللماحةُ ، الشفافةُ ،

العادلةُ ، الجميلهْ . .

أيتها الشهيةُ ، البهيةُ ،

الدائمةُ الطفولهْ . .

أشهد أن لا امرأةً . .

تحررتْ من حكمِ أهل الكهفِ . . إلا أنتِ . .

وكسرت أصنامهمْ . .

وبددت أوهامهمْ . .

وأسقطتْ سلطةَ أهل الكهفِ . . إلا أنتِ . .

أشهد أن لا امرأةً . .

استقبلتْ بصدرها خناجرَ القبيلهْ

واعتبرت حبي لها . .

خلاصةَ الفضيلهْ . .

٩

أشهد أن لا امرأةً . .

جاءت تماماً مثلما انتظرتْ

وجاء طولُ شعرها ، أطولَ مما شئت أو حلمتْ

وجاء شكل نهدها . .

مطابقاً لكل ما خططتُ أو رسمتْ . .

أشهد أن لا امرأةً . .

تخرجُ لي من سحب الدخانِ . . إن دخنتْ

تطيرُ كالحمامةِ البيضاءِ في فكري . . إذا فكرتْ

يا امرأةً . . كتبتُ عنها كتباً بحالها

لكنها برغمِ شعري كلهِ . .

قد بقيتْ . . أجملَ من جميع ما كتبتْ . .

أشهد أن لا امرأةً . .

مارست الحب معي بمنتهى الحضارهْ

وأخرجتني من غبار العالم الثالثِ . .

إلا أنتِ . .

أشهد أن لا امرأةً . .

قبلكِ ، حلّتْ عقدي

وثقفتْ لي جسدي . .

وحاورتهُ مثلما تحاور القيثارهْ . .

أشهد أن لا امرأةً . .

تمكنت أن ترفعَ الحبَّ إلى مرتبةِ الصلاة . .

إلا أنتِ . . إلا أنتِ . .

إلا أنتِ . .

قدرٌ أنت بشكل امرأةٍ . .

قدرٌ أنت بشكل امرأةٍ . .

وأنا مقتنعٌ جداً بهذا القدرِ

إنني بعضكِ ، يا سيدتي

مثلما الأخضرُ بعضُ الشجرِ . .

وأنا صوتكِ ، يا سيدتي

مثلما الآهُ امتدادُ الوترِ . .

مطرٌ يغسلني أنتِ . . فلا

تحرميني من سقوط المطرِ

بصري أنت . وهل يمكنها

أن ترى العينانِ دونَ البصرِ ؟

أعظم أعمالي

إذا سألوني عن أهمّ قصيدةٍ

سكبتُ بها نفسي ، وعُمري ، وآمالي

كتبتُ بخطٍ فارسيٍ مذهّبٍ

على كلِّ نجمٍ : أنتِ أعظمُ أعمالي

حبيبتي هي القانون . .

أيتها الأنثى التي في صوتها . .

تمتزجُ الفضةُ . . بالنبيذِ . . بالأمطارْ

ومن مرايا ركبتيها يطلع النهارْ

ويستعدُّ العمرُ للإبحارْ . .

أيتها الأنثى التي

يختلطُ البحرُ بعينيها مع الزيتونْ . .

يا وردتي

ونجمتي

وتاجَ رأسي . .

ربما أكونْ . .

مشاغباً . . أو فوضوي الفكرِ . .

أو مجنونْ

إن كنتُ مجنوناً – وهذا ممكنٌ –

فأنتِ يا سيدتي

مسؤولةٌ عن ذلك الجنونْ

أو كنتُ ملعوناً – وهذا ممكنٌ –
فكلُّ من يمارسُ الحبَّ بلا إجازةٍ
في العالمِ الثالث
يا سيدتي ، ملعونْ . .
فسامحيني مرةً واحدةً
إذا أنا خرجتُ عن حرفيةِ القانونْ
فما الذي أصنع يا ريحانتي ؟
إن كان كلُّ امرأةٍ أحببتها
صارتْ هيَ القانونْ . .

التمثيلية

أقولُ أمامَ الناس ، لستِ حبيبتي
وأعرفُ في الأعماقِ كم كنتُ كاذبا
وأزعمُ أن لا شيء يجمعُ بيننا
لأبعدَ عن نفسي وعنكِ المتاعبا
وأنفي إشاعاتِ الهوى . . وهي حلوةٌ
وأجعلُ تاريخي الجميلَ خرائبا
وأعلنُ ، في شكلٍ غبيّ ، براءتي
وأذبحُ شهواتي . . وأصبح راهبا

وأقتلُ عطري . . عامداً متعمداً

وأخرجُ من جناتِ عينيكِ هاربا

أقوم بدورٍ مضحكٍ يا حبيبتي

وأرجعُ من تمثيل دوري خائبا

فلا الليل يُخفي – لو أراد – نجومهُ

ولا البحرُ يخفي – لو أراد – المراكبا . .

قولي أحبكَ

قولي (أحُبكَ) . . كي تزيدَ وسامتي

فبغيرِ حبّكِ لا أكونُ جميلا . .

قولي (أحبكَ) . . كي تصيرَ أصابعي

ذهباً . . وتصبحَ جبهتي قنديلا

قولي (أحبكَ) كي يتمَّ تحولي

فأصيرُ قمحاً . . أو أصيرُ نخيلا

الآنَ قوليها . . ولا تتردّدي

بعضُ الهوى لا يقبلُ التأجيلا

قولي (أحبكَ) كي تزيدَ قداستي

ويصيرَ شعري في الهوى إنجيلا

سأغيّرُ التقويمَ لو أحببتني

أمحو فصولاً ، أو أضيفُ فصولا

وسينتهي العصرُ القديمُ على يدي

وأقيمُ مملكةَ النساءِ بديلا . .

قولي (أحبكَ) كي تصيرَ قصائدي

مائيةً . . وكتابتي تنزيلا

ملكٌ أنا . . لو تصبحينَ حبيبتي

أغزو الشموسَ مراكباً وخيولا

لا تخجلي مني . . فهذي فرصتي

لأكونَ ربّاً . . أو أكونَ رسولا . .

هل هذه علامةُ ؟ . .

لم أتأكد بعدُ ، يا سيدتي ، من أنتْ . .

هل أنت أنثايَ التي انتظرتها ؟

أم دميةُ قتلتُ فيها الوقتْ

لم أتأكدْ بعدُ ، يا سيدتي

فأنت في فكري إذا فكرتْ . .

وأنت في دفاتري الزرقاءِ . .

إن كتبتْ . .

وأنتِ في حقيبتي . .
إذا أنا سافرتْ
وأنتِ في تأشيرةِ الدخولِ ،
في ابتسامةِ المضيفةِ الخضراءِ ،
في الغيمِ الذي يلتفُّ كالذراعِ . .
حول الطائرهْ
وأنتِ في المطاعمِ التي تقدمُ النبيذَ ،
والجبنَ بباريسَ ، وفي أقبيةِ المترو التي
يفوحُ منها الحبُّ و (الغولوازُ) . .
في أشعارِ (فرْلينَ) التي تباعُ
عند الضفةِ اليسرى من (السيْنِ)
وفي أشعارِ (بودليرَ) التي تدخُلُ
مثل خنجرٍ مفضفض . . في الخاصرهْ . .
وأنتِ في لندنَ ، تلبسينني
ككنزةٍ صوفيةٍ عليكِ إن بردتْ
وأنتِ في مدريدَ ،
في استوكهولمَ ،
في هونكونغَ ،

عند سدِّ الصينِ ،

ألقاكِ أمامي حيثما التفتْ . .

في مطعمِ الفندق ، في مشربهِ . .

أراكِ في كأسي إذا شربتْ

أراكِ في حزني ، اذا حزنتْ

*

أريدُ أن أعرفَ يا سيدتي

هل هذه علامةٌ بأنني أحببت ؟ . .

الحضارة

يغسلني حبك من بداوتي . .

يشيل عني الرمل والحجارة . .

يُدخلني في قصره المائي . . كل ليلة

يدخلني في زرقة العبارهْ . .

وعندما أسألهُ :

من أنت يا حبيبتي ؟

يرفع لي عن وجهك الستارهْ . . .

ثم يقول: ها هي الحضارهْ . .

التجارب

لا تُتعبي نفسك يا غاليه

في البحث عن تجاربي الماضيه

كل نساء الأرض في كفةٍ . .

وأنتِ يا أميرتي . .

في الكفة الثانية . .

أحبكِ . .

أحبك في كل يومٍ ، ثلاثين عاماً

وأشعر أني أسابق عمري . .

وأشعر أن الزمان قليل عليكِ

وأن الدقائق تجري . .

وأني وراء الدقائق أجري . .

وأشعر أني أُوسّس شيئًا

وأزرع في رحم الأرض شيئًا . .

وأشعر، حين أحبكِ،

أن أغير عصري . .

التعاريف

أن ضد كل التعاريف في الحب . .

فهي جميعاً قوالب . .

وضد جميع الوصايا القديمةِ،

ضدّ جميع النصوص،

وضد جميع المذاهبْ . .

فلا يصنع الحبَّ إلا التجاربْ . .

ولا يصنع البحر إلا الرياح وإلا المراكب . .

ولا يستطيع الحديث عن الحرب . . إلا المحاربْ

أنا أفعل الحبّ . . لكن إذا سألوني عنهُ . .

فإني أفضل أن لا أجاوبْ . . .

المطر

أخاف أن تمطر الدنيا، ولست معي

فمنذ رحتِ . . وعندي عقدة المطرِ

كان الشتاء يغطيني بمعطفهِ

فلا أفكر في بردٍ ولا ضجرِ

وكانت الريح تعوي خلفَ نافذتي

فتهمسين: "تمسك . . ها هنا شعري . . "

والآن أجلسُ . . والأمطار تجلدني

على ذراعي . على وجهي ، على ظهري

فمنْ يدافع عني . . يا مسافرة

مثل اليمامة، بين العين والبصر ؟ .

وكيفَ أمحوكِ من أوراق ذاكرتي ؟

وأنتِ في القلب مثلُ النقش في الحجرِ

أنا أحبكِ . . يا من تسكنين دمي

إن كنتِ في الصين، أو إن كنتِ في القمرِ

ففيك شيءٌ من المجهول أدخلهُ

وفيكِ شيءٌ من التاريخ والقدرِ

لماذا ؟

كثيرات صديقاتي . .

كثيراتٌ علاقاتي

وبين يديَّ – حين أريد – آلاف الخياراتِ

ولكنْ ما يحيرني

لماذا أنتِ بالذاتِ ؟ .

أحبكِ أنتِ بالذاتِ ؟ .

اكبري عشرين عاماً

اكبري عشرينَ عاماً . . ثم عودي . .

إن هذا الحبّ لا يرضي ضميري

حاجزُ العمرِ خطيرٌ . . وأنا

أتحاشى حاجزَ العمرِ الخطيرِ . .

نحن عصرانِ . . فلا تستعجلي

القفزَ، يا زنبقتي، فوقَ العصورِ .

أنت في أول سطرٍ في الهوى

وأنا أصبحت في السطرِ الأخيرِ . .

الإناء . .

. . وكنتُ في طفولتي

أظن أن القلب كالإناءْ

تسبح في مياهه الزرقاءِ آلافٌ من النساءْ

وعندما نضجت يا حبيبتي

واتحدت عناصرُ الأشياءْ

بحثتُ عن أسماكيَ الخضراء والحمراءْ

فلم أجد سواكِ يا أميرتي

في ذلكَ الإناءْ

معادلة

أعشقُ يا حبيبتي

إذن أنا موجودْ

أكتبُ يا حبيبتي . .

فأستردُ الزمنَ المفقودْ . .

لو كان حبي شجراً

لو كان حبي شجراً . .

لكنتُ يا حبيبتي

غطيتُ وجه الأرض بالأشجارْ

لو كان حبي مطراً

أغرقت هذا الكون . . بالأمطارْ . .

تعالي البارحة

إن كانَ لا يمكنك الحضورُ يا حبيبتي . .

لأيّ عذرٍ طارئٍ

سأكتفي بالرائحة

إن كان لا يمكنُ أن تأتي غداً . .

لموعدي

إذنْ . . تعالي البارحهْ ! ! .

تربية الخيول

أعبّ من مياه ناهديك كالحصانْ . .

وأستريحُ بعدها . .

من تعبِ الزمانْ . .

فلا تذلي الخيلَ، يا صديقتي . .

للخيل أخلاقٌ وعنفوانْ . .

على البحر الطويل

إفرشي شعركِ فوقي . .

مثل غاباتِ النخيلْ

فأنا يعجبني النظمُ على البحر الطويلْ

لستُ رجعياً بطبعي . . إنما

أشتهي رائحة البن . . وطعم الزنجبيلْ

يرحل المشطُ، وقلبي معهُ . .

إنّ من أغلى هواياتي الرحيلْ . .

كي يأتي النهارْ

لن أطيل الشرحَ . .

فالحبُّ اختصارْ

ففيني حاجة قصوى

إلى واحدة مثلكِ . .

كي يأتي النهارْ . .

هل يعرف القراء ؟

كيف استطعتِ يا سيدتي ؟

أن تدخلي بين يدي . . والورقة

وتسكنين في الحبر والأقلام . .

كيف استطعتِ يا سيدتي ؟

أن تحذفي عبارةً . .

وتكملي عبارةُ . .

وتخْرجي من داخل الكلامْ . .

هل يعرف القراء يا سيدتي ؟

أنكِ كنتِ دائماً

توَقّعين عني كتبَ الغرامْ . . . .

اللغة

أوكلما رجلٌ أحبّ . .

يكونُ مضطراً إلى استعمال ذات المفرداتِ ؟ .

أو كلما امرأة أرادت أن تضم حبيبها

فرضوا عليها أن تنام مع الأئمةِ . . والنحاةِ ؟ .

من أجل هذا كلهِ . .

ما قلتُ شيئًا للتي أحببتها . .

وجمعت أشياء الهوى بحقيبة . .

وهربت من كل اللغاتِ . .

أغتصب العالم بالكلماتْ . .

أغتصب العالم بالكلماتْ . .

أغتصب اللغة الأمْ . .

النحوَ . . الصرفَ . . الأفعالَ . . الأسماءْ . .

أجتاح بكاراتِ الأشياءْ

وأشكلُ لغة أخرى . .

فيها سرّ النار . . وسرّ الماءْ . .

وأضيءُ الزمنَ الآتي . .

أوقف في عينيكِ الوقتَ . .

وأمحو الخطّ الفاصل بين اللحظة والسنواتْ . .

وماذا سيخسر ربي ؟

وماذا سيخسر ربي ؟

وقد رسم الشمس تفاحة

وأجرى المياهَ . وأرسى الجبالا . .

إذا هو غيرَّ تكويننا

فأصبح عشقي أشدّ اعتدالا . .

وأصبحتِ أنتِ أقلّ جمالا . . .

الوردة والفنجان

دخلت اليومَ للمقهى . .

وقد صممتُ أن أنسى علاقتنا

وأدفن كل أحزاني . .

وحينَ طلبتُ فنجاناً من القهوه

خرجتِ كوردة بيضاءَ .

من أعماق فنجاني ! ! .

هل تكتبين معي القصيده ؟

فكرتُ أن الشعر يهبط كالمفاجأة السعيده

ويجيءُ مثلَ الطائر الليلي من جزر بعيده . .

فكرت أن الشعر يحمل كيسهُ . .

ويوزع الألعاب، والحلوى على الأطفالِ

في السنة الجديدهْ

حتى وجدتك بين أقلامي، وبين دفاتري

فعرفت أنك تكتبين معي القصيدهْ . . .

صعوبة

وكم أعجبت بامرأة . .

ولم يقنع بها القلبُ . .

نساءُ الأرضِ لا يحصينَ . .

لكنّ الهوى صعبُ . .

حماقة

وما كنتُ أعلمُ . .

حين شطبتك من دفترِ الذكرياتِ . .

بأني أشطب نصف حياتي . .

شهادة تأمين

تريدينَ مني شهادة حبٍ . .

موقعة بالحروف الكبيرهْ . .

وأشهدُ — حتى كتابة هذي السطورْ .

بأنكِ بين النساء الأخيرهْ . .

ولكنْ، لماذا الشهاداتُ؟ قولي

وهل يضمنُ البحرُ يوماً حدودَ جزيرهْ ؟؟

إلى ثلاثينية . .

دخلتِ الثلاثين منذ شهور . .

ومازلتُ أشعرُ رغم الحوار المثقفِ،

أنكِ بعدُ . . تخافين مني . .

ألا بدّ أن يتدخل شيخ القبيلة،

بيني وبينكِ . . كي تطمئني ؟

الحافية

صامتةٌ أنتِ . .

فهل تدرينَ بأن يديكِ الصامتتين . .

كتابا شعرْ ؟

حافيةٌ أنتِ . .

فهل تدرين بأن امرأةً حافية القدمين

تغير ايقاع التاريخ،

وتقلب خارطة الدنيا،

وتطيل العمر ؟

الدخول إلى البحر . .

حدثت تجربة الحب أخيراً . . .

ودخلت جنة الله، ككل الداخلينْ

وانزلقنا . .

تحت سطح الماء أسماكا . .

رأينا لؤلؤ البحر الحقيقي . .

وكنا ذاهلينْ . .

حدثت تجربة الحب أخيراً . .

حدثتْ من غير إرهاب ولا قسر . .

فأعطيتُ . . وأعطيتِ . .

وكنا عادلينْ . .

حدثت في منتهى اليسر كما

يكتبُ المرءُ بماء الياسمينْ . .

وكما ينفجر النبع من الأرض . .

فشكراً . .

لكِ يا سيدتي

ولربِ العالمينْ . .

إلى نصف عاشقة

تحركي خطوة . . يا نصف عاشقةٍ
فلا أريد أنا أنصاف عشاق
إن الزلازل طول الليل تضربني
وأنتِ واضعة ساقاً على ساقِ
وأنت آخر من تعنيه مشكلتي
ومن يشاركني حزني وإرهاقي
تبللي مرة بالماء . . أو بدمي
وجربي الموت يوماً فوق أحداقي
أنا غريبٌ، ومنفيٌ . . ومستلب
وثلج نهديك غطى كل أعماقي
أمن سوابق شعري أنت خائفة؟
أم من أفكاري وأشواقي
لا تحسبي أن أشعاري تناقضني
فإن شعري طفولي كأخلاقي . . .

الكتاب المقروء

بكلمة واحدة . .
لفظتها ونحن عند البابْ

فهمت كل شيء . . .

فهمتُ من طريقة الوداعْ

ومن جمود الثغر والأهدابْ

فهمت أني لم أعدْ

أكثر من بطاقة تترك تحت الباب

فهمت يا سيدتي

أنكِ قد فرغت من قراءة الكتابْ . .

الطوابع

أعرفُ يا سيدتي

أن الرجال كلهم لديك كالطوابع . .

مجموعة من أغرب الطوابع . .

وأندر الطوابعِ

على جدار القلب تلصقينهم

وحين تتعبينَ تنزعيهمْ . .

من دفتر الأشواق كالطوابع

أعرف أيضاً أنني . .

ما كنت إلا طابعاً من جملة الطوابع . . .

هربت من زمني الشعري . .

هربتِ من زمني الشعري، يا امرأة
ومن تقلّب طقسي، وانفعالاتي
غريبة كنتِ عن حبري، وعن ورقي
فلم تحبي عصافيري، وغاباتي
ولا اقتنعت بأفكاري ولا كتبي
ولا أعادتك للإيمان آياتي
طلبتِ مني ثباتاً لستُ أملكه
أما المهجر طول العمر من ذاتي
ما أسعدتك قصور الشعر، سيدتي
ما تفعلين بقصر في السماواتِ؟
أردتِ أن تجعلي مني مؤسسة
وتزرعي نباتاً كالنباتاتِ
كنتِ القصيدة لا أدري نهايتها
وصرتِ، وا أسفي، من بين عاداتي . .

لا تُحسبين جميلة

لا تُحسبين جميلة جداً
إذا أخذتُ مقاييس الجمال

لا تُحسبين مثيرة جداً . .

إذا دار الحديثُ عن الغواية والوصال

لا تُحسبين خطيرة جداً . .

إذا كان الهوى . .

معناه أن تتحكم امرأة بأقدار الرجال

لكنّ شيئاً فيكِ سرّيا . .

وصوفياً . . وجنسياً . . وشعريا . .

يحرضني، ويقلقني . ويأخذني

إلى ألف احتمال واحتمال . .

لا تحسبين جميلة جداً . .

لكن شيئاً فيكِ يخترق الرجولة،

مثلَ رائحة النبيذ ، ومثل عطر البرتقال . .

شيئاً يفاجئني . .

ويُحرقني . .

ويُغرقني . .

ويتركني بين الحقيقة والخيالِ

لا تُحسبين جميلة . .

لكن شيئاً فيكِ مائياً . .

طفولياً . . بدائياً . . حضارياً . .

عراقياً . . وشامياً . .

يُكلمني . .

ويرفض أن يجيب على سؤالي . .

لا تُحسبين جميلة . .

لكن شيئاً فيك أقنعني . .

وعلمني القراءة، والكتابة، والحروف الأبجدية

فإذا بسنبلة تمشط شعرها في راحتيهْ

وإذا بعصفور صغير جاء يشرب من مياهي الداخلية

اللّهَ . . كم هو رائعٌ . .

أن تصبحَ امرأةٌ قضيهْ . .

ألا تجلسين قليلاً ؟ .

ألا تجلسين قليلاً

ألا تجلسين ؟

فإنّ القضية أكبر منكِ . . وأكبر مني . .

كما تعلمينْ . .

وما كان بيني وبينكِ . .

لم يكُ نقشاً على وجه ماءْ

ولكنه كان شيئاً كبيراً كبيرا . .

كهذي السماءْ

فكيفَ بلحظةِ ضعفٍ

نريدُ اغتيال السماءْ ؟ . . .

ألا تجلسين لخمسِ دقائقَ أخرى ؟

ففي القلب شيءٌ كثيرٌ . .

وحزنٌ كثيرٌ . .

وليسَ من السهل قتلُ العواطف في لحظات

وإلقاءُ حبكِ في سلةِ المهملاتْ . .

فإن تراثنا من الحبِ . . والشعرِ . . والحزنِ . .

والخبز . . والملح . . والتبغ . . والذكرياتْ

يحاصرنا من جميع الجهاتْ

فليتكِ تفتكرين قليلاً بما تفعلينْ

فإن القضيةَ . .

أكبرُ منكِ . . وأكبر مني . .

كما تعلمينْ . .

أنا لا أحاول ردّ القضاء

ولكنني أشعر الآن أن التشنج ليس علاجا

لما نحن فيهِ . .

وأنا الحماقة ليستْ طريقَ اليقينْ

وأن الشؤون الصغيرة بيني وبينكِ . .

ليستْ تموت بتلك السهولهْ

وأن المشاعر لا تتبدل مثل الثياب الجميلهْ . .

أنا لا أحاول تغييرُ رأيكِ . .

إن القرار قرارك طبعاً . .

ولكنني أشعر الآن أن جذورك تمتد في القلبِ،

ذات الشمال، وذات اليمينْ . .

فكيف نفك حصارَ العصافير، والبحر،

والصيفِ، والياسمينْ . .

وكيفَ نقص بثانيتين ؟

شريطاً غزلناه في عشرات السنينْ . .

- سأسكب كأساً لنفسي . .

- وأنتِ ؟

تذكرتُ أنكِ لا تشربينْ . .

أنا لستُ ضد رحيلكِ . . لكن . .

أفكر أنّ السماء ملبدة بالغيومْ . .

وأخشى عليكِ سقوط المطرْ

فلماذا يضيركِ لو تجلسينْ ؟

لحين انقطاع المطرْ . .

وماذا يضركِ ؟

لو تضعين قليلاً من الكحل فوق جفونك . .

أنت بكيتِ كثيراً . .

ومازال وجهك رغم اختلاط دموعك بالكحل

مثل القمرْ . . .

أنا لستُ ضدّ رحيلكِ . .

لكنْ . .

لديّ اقتراح بأن نقرأ الآن شيئاً من الشعر . .

علّ قليلاً من الشعر يكسر هذا الضجرْ . .

. . . تقولين إنكِ لا تعجبين بشعري ! !

سأقبلُ هذا التحدي الجديد

بكل برودٍ . . وكل صفاءْ

وأذكرُ . .

كم كنت تحتفلين بشعري . .

وتحتضنين حروفي في صباحَ مساء

وأضحكُ . .

من نزوات النساءْ . .

فليتك سيدتي تجلسينْ

فإن القضية أكبر منكِ . . وأكبر مني . .

كما تعلمينْ . .

أما زلتِ غضبى ؟

إذنْ سامحيني . .

فأنتِ حبيبة قلبي على أي حالْ . .

سأفرض أني تصرفتُ مثل جميع الرجالْ

ببعض الخشونه . .

وبعض الغرورْ . .

فهل ذاك يكفي لقطع جميع الجسورْ ؟

وإحراقِ كل الشجرْ . . .

أنا لا أحاول رد القضاء ورد القدر . .

ولكنني أشعر الآنَ . .

أن اقتلاعك من عصب القلب صعبٌ . .

وإعدام حبكِ صعبٌ . .

وعشقك صعبٌ . .

وكرهكِ صعبٌ . .

وقتلك حلمٌ بعيد المنالْ . .

فلا تعلني الحربَ . .

إنّ الجميلات لا تحترفن القتالْ . .

ولا تطلقي النار ذات اليمين وذات الشمالْ . .

ففي آخر الأمرِ . .

لن تستطيعي اغتيالَ جميع الرجالْ . .

الدفاتر القديمة

أيتها الرفيعة التهذيب، والرجعية الآراءْ

يا امرأة تصر أن تكون بين الأرض والسماء . .

لربما كان من الغباء

أن تفتحَ الدفاترَ القديمهْ

ونرجعَ الساعة للوراءْ . .

وربما كان من الغفلة والغرورْ . .

أن يدعي الإنسان أنّ الأرضَ لا تدورْ

والحبّ لا يدورْ . .

والغرف الزرقاء بالعشاق لا تدورْ . .

وربما كان من الغبارْ . .

أن نتحدى دورةَ الفصول . .

ومنطقَ الأشياء

ونُخرجَ الأزهارَ الحمراء من عباءة الشتاءْ . .

وربما كان من الغباءْ

أيتها الرفيعة التهذيب، والرجعية الآراءْ

بعد ثلاثين سنه . .

أن نبدأ الحديثَ من أولهِ . .

فالطائر الذكي لا يكرر الغناءْ . .

****** النهاية ******